نـافـذة

## الحاضر لا يحدّه زمن

اليوم حاضر غداً مستقبل يصبح حاضراً بالنسبة لبعد غد الزمن ثابت لا يتغير، نحن نتحرك، نتغير، نكبر، ننتهي بشكل أو بحالة ما، أو تحت ضغط ظرف معين، نتفكر، نجد أنّ المستقبل بعيد جداً، من ينتظره فسيفنى قبل أن يصل إليه. فما جدوى بقائنا في الحاضر، ما دامت الأزمة مستمرّة؟ كيف ومتى ستنتهي فيه برأيكم؟ أم إنها ستستمر، تتنقل فيما بيننا، تنتظر النهاية أو الذهاب إلى المستقبل، أم هي حالةٌ كانت ضرورية وتجربة قوية غنية وثريّة، لكونها ممتلئة بالآلام والأحزان والدمار والكراهية، تربعت على عرش الرفاهية والاستقرار الأمني. وكي لا يتكرر كل هذا على البشرية جمعاء، دولاً ومجتمعات وأفراداً، وأن تستفيد قدر ما استطاعت مما نحن عليه ويمر بنا. واستمرار التجربة وتكرارها في الحاضر أفضل بكثير من أن تعود في المستقبل، وطبيعي أن يصيب أي تجربة فشل جزئي أو كلي، فتحاول من جديد. هكذا فعل العلماء إلى أن وصلوا إلى النتائج التي نحيا عليها الآن؛ أي امتدّ حاضرهم كثيراً حتى وصل إلى المستقبل، تألموا بقوة كأفراد، كإنسان، كبشر، فكانت الإنسانية أكبر منهم، والبشرية أبقى من البشر. وكذلك الألم الفردي يستدعي الآخر من جنسه، من أجل تخفيف الألم الفردي الاجتماعي الجماعي. من يتحرّك من أجل تخفيف آلام مجتمع أو دولة؟ ألا يستوقفنا عنواننا لنناقش جميعنا لكيلا يتكرّر، أي لا تتكرر الأزمة التجربة حاملة الآلام.

المراقب لمجريات الحاضر الذي بدأ منذ نهايات الحرب العالمية الثانية، وصولاً إلى حروب الشرق الأوسط إلينا، يعلم جيداً أنه ما زال مستمراً، ولم يشهد العالم أحداثاً منذ تلك الحرب، مؤلمة ومرعبة، كما تشهده منطقتنا العربية الممتلئة بالمصائب والأحقاد والمكائد والأشراك وروائح الكراهية، حيث أخذ الجميع في البحث والتقصي عن حلول كي لا تنتقل إلى هناك؛ أي إلى المحيط القريب والبعيد بنا ومنّا، ولنتأمل أن الحاضر امتدّ من الحرب العالمية الأولى، حتى حدثت الحرب العالمية الثانية، هل كل ذلك يجري من أجل الوصول إلى المستقبل؟ وهل هكذا يكون حال الحاضر الذي نعتاشه، والذي يبدو أنه لا حدود له، إلى أن تصل التجارب جميعها إلى نهايتها. فالعنف المسكون والممتلئ فيه لم ينته بعد، وما زالت شياطينه تتلاعب بمفاصله عاملة ليل نهار، من أجل تدميره إلى أقصى مدى. اللاعنف يقف متفرجاً لا حول له ولا قوّة. المؤمنون الحقيقيون المدركون بمجريات الواقع مرفوضون فيه، ممنوعون حتى من الشهادة عليه، ولطالما أشاروا وسجّلوا علامات استفهام كثيرة، حاروا معها بحثاً عن كيفية إخراجها من العنف. فالعنيفون مستفيدون جداً من الهمجية والوحشية السائدة، ولهم مآرب كبرى يجهدون ليل نهار لتحقيقها، ولذلك نراهم في دائرة اللهاث وراء اتّساع الحاضر، من باب أنّ ما يجنون متوافر، طبعاً غايتهم السيطرة على كامل مقدرات الحياة. وفي اعتقادهم أنه بعد انتهاء كل شيء، يبدأ تصنيع المستقبل بإرادتهم. يتمّ ذلك بعد أن يكون المسح قد أدّى غايته، أي الحاجة إلى البدء من جديد، ليظهر المستقبل واقعياً، يقبل به الجميع. هل تصدّقون أن هناك مستقبلاً؟ أقول ربما، لكنها تبقى لعبة ذكاء الحاضر الذي يغري العقل البشري، يدفع بنا للإنجاز من أجل ماذا؟ من أجل إعادة تدميره! فهل يكون المستقبل الأمان، أم إنه يمتلك انتظارنا، والهدف إعادة التجربة، وإلا فلن تستمر الحياة، لأن الاستقرار حالة مؤقتة، والأمان غير متوافر، حتى في جوهر البشر، لأن البشر ابن الخطيئة، والخطيئة تؤرق وتؤلم وتشاغل، فهي الحاضر والحاضر يستثمرها.

اليوم لا نحتاج إلى الثقافة، بل تعالوا إلى المعرفة، من أجل فهم ما يجري، وكشف أسرار لعبة الحاضر، التي يمارسها العقل البشري أمام إنسانية الإنسان، هذا العقل الذي أخرج محتوياته القديمة، يفعلها بين الفينة والأخرى، حتى وصل به إلى جوهر الفرد البشري، واستطاع إحلال الصراع بداخله، وبدهي ألا يكون نورٌ بلا ظلام، ولا جمالٌ بلا قبح، ولا ليلٌ من دون نهار، حيث الكلّي الأزلي أوجد له صورتين، أخذتا شكلي إلهين، الشر والخير، يستثمرهما كغطاء، يعمل بينهما، فيعملان تحت مظلّته بقوّة، كما هو حال الحاضر العنيف الفاعل تحت مظلّة المستقبل، مستخدماً إياه كوعد قادم بأنه قادم، وهو كما تحدّثت بالسياق، يجهد كي لا يحدث أو يقترب.

الآن لماذا؟. لأن لعبة الكبار مع الصغار آخذة في التمدّد، لقد تكاثر الصغار لدرجة مرعبة، وتراجع عدد الكبار بسرعة مذهلة، إلا أنّ القوة ما زالت هي الندرة، تتحكّم بشكل أقوى، مديرةً الصغار برمي العنف بينهم، والغاية كسر الإيمان الحقيقي والعنفوان، أي سحق الكرامة الإنسانية، كي لا يحدث السعي للحصول على مقعد في الأمام، حتى وإن كان الأمام في المؤخرة.

المستقبل في متناولنا على يميننا أو يسارنا، ونحن نسير مؤكّد إلى الأمام، نحصل عليه، حين ينتهي العنف، ونمتلك الأفكار والقيم الحقّة، الموجودة في جوهر اللاعنف. وكل ما نحتاج إليه هو في متناول فكرنا، إلا أنه يبدو أننا مصرون على البقاء في الحاضر، الذي لم يعد يمتلك أي أمل، ولم ندرك بعد أنه غير صالح التعامل معه نتاج احتكاكنا المباشر؛ أي تزاحمنا على كل شيء، والتصاقنا ببعضنا نتاج التكاثر الهائل، ما أدى لاحتكاك البشر بالبشر، وهذا يعني أن الصدامات واقعة لا محالة، فعلى جميعنا التنبّه من الحاضر الجائع، والنهم الساعي لالتهام كل شيء، حجر وبشر وطير وشجر، والخلاص مؤكّد لم يعد هيّناً، إن لم ندرك الإخلاص، ونستخلصه منه، فخلاصنا يعني وصولنا إلى حدود المستقبل، وإن لم نتفهم، ونفهم هذه المعادلة، فلن نلتقي، ونبقى نلهث بلا نتائج في مساحات الحاضر.

**د. نبيل طعمة**

### ١٣ جائزة دولية.. سورية مُستقره ومقامه.. ولا يزعزع إيمانه بها شيء

# عدنان الشيخ لـ«الوطن»: دمشق موطن الخط العربي وإبداعه وهي التي قدمته للعالم

**عامر فؤاد عامر**

حاز ١٣ جائزة دوليّة في فنون الخط العربي، كان آخرها المركز الأول في الخط الديواني عام ٢٠٠٤، لينتقل بعدها ويكون عضواً في لجان تحكيم مسابقات الخط العربي في أنحاء العالم، لديه العديد من المحاضرات التي ألقاها في ملتقيات دوليّة وعالميّة، كما امتهن التدريس في عدّة أماكن منها كليّة الفنون الجميلة في دمشق، والمدرسة العدنانية للخط العربي على الفيس بوك لينشر معارف التي وصل إليها في الخط العربي إلى كل أنحاء العالم، وتكريماً له وإنجازاته في خدمة الخط العربي أقامت له وزارة الثقافة عام ١٩٩٨ معرضاً فنياً وشهادة تقدير اعترافاً بفضله، واليوم تنتشر معارفه التي حصدها عبر ٤٥ عاماً من الاجتهاد والكسب والتجربة والعطاء في كل أنحاء العالم ويطلبه ناهلو العلم لثقافته الواسعة في هذا الميدان، وفي حديث خاصّ لـ«الوطن» يتطرق الخطاط السوري العالمي «عدنان الشيخ» إلى نقاط عميقة تناقش محبته لفنّ الخط العربي، وتعمقه في هذه المهنة، في حديثٍ قريبٍ من الروح.

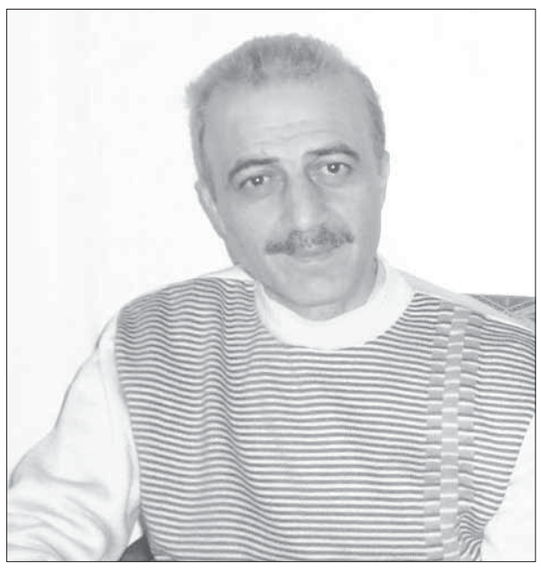

> لمحبّي الخط اعشقوه ولا تتعجلوا قطف الثمر

### تحليل العلاقة

**بينه وبين الحرف ومهنة الخط علاقة خاصّة، لماذا تكونت هذه العلاقة؟ ولماذا سكنته كثيراً على مدى سنوات العمر؟ وعن هذه البدايات وارتباطها بالخطاط الفنان «عدنان الشيخ» الذي تفضل بهذه الإجابات: «من صغري وفي عمر السابعة تلقيت الكثير من العلوم الشرعية في مسجد الحي في حمص وأحكام تلاوة القرآن الكريم تجويداً، وإعراباً، وصوراً بلاغية، وهذا ما حبب إلي فيما بعد فنون اللغة العربية نثراً وشعراً، وطبعاً اطلعت على كثير من منظوم اللغة ومنثورها بالتالي جمعت مع الرصيد السابق رصيداً لغوياً وأدبياً، فاجتمع الرصيد كلّه ليفتح أمامي الدخول محراب الخط العربي الذي أحببته بكلّ جوارحي، ومصدر الحب هو اللوحات الباقية من كتابات الخطاط المرحوم «عبد الهادي زين العابدين» من حمص الذي كان أديباً وشاعراً، وأيضاً كتابات المرحوم «محمد بدوي الديراني» الدمشقي، وأنا لم أتلق فن الخط على يدّ أحد وليس لي أستاذ مباشر وكلّ الراحلين أساتذتي، وهذا في تقديري أمر إيجابي، وعلى الرغم من المفهوم السائد بأنه يجب ضرورة وجود معلم مباشر ولكن يبدو أن حرية التنقل والتزود من عدّة مصادر تعطي غنى وحركة أكبر وغالباً الخطاطون الذين يتربون على أيدي أساتذتهم يتخرجون نسخة كربونيّة عنهم، وكان الراحلون يتصفون على الأغلب بالتزمت فيفرضون أسلوبهم ويلغون أسلوب الآخر، فهكذا كانت العقليات، لكن اختياري لطريق التنوع هذا كوّن لي شخصية لا تشبه أحداً، فيها ابتكار مع تحصيل قوي، إضافة لتعدد الروافد الأخرى وهواياتي من اهتمام موسيقي ودراية في المقامات الموسيقيّة، والإنشاد الديني».**

### سرّ الشام وتفوّقها

**حالة إبداعيّة ارتبطت بالشام، وحالة الكم والنوع نجدها موفورة هنا في هذه المساحة، وإذا ما قارنا هذه الحالة بغيرها من البلدان العربيّة فسنجد تفوقاً واضحاً لدينا في فنّ الخط العربي، فما الأسباب بحسب خبرة واطلاع «عدنان الشيخ» ولاسيّما أنه كثير السفر والمشاركات في المسابقات الدوليّة، والاطلاعات، والعمر، والتجربة: «اعتقد أن مردّ ذلك إلى أن سورية موئل للقرآن الكريم واللغة العربيّة، فأضعف شخص لدينا يتكلم اللغة العربيّة بصورة أفضل من دكتور في اللغة لديهم، وهذا يقيني، فسورية قلعة العربيّة، وكانوا يقولون تؤدى اللغة العربيّة بلسان النطق تارة وبلسان القلم تارة أخرى، فالخط هو اللغة المرسومة على الورق، فقوة هذه البلاد في تراث هذه البلاد، وفي صميمها ازدهار للغة العربي هناك قواعد صارمة جداً لا يمكن تجاوزها وخاصة في مرحلة التدريب الأولى، وهناك أمران يجب إدراكهما، وهما شخصيّة الحرف وقياسه، فالتكوين له علاقة بشخصيّة الحرف، وفي هذه المنطقة للخطاط مطلق الحريّة، ويتفاوت فيها خطاط عن آخر، فهذه بالتحديد هي منطقة المعرفة، أمّا منطقة القياس فهي منطقة العلم، والتي يعلمها جميع الخطاطون، ولا اختلاف عليها بين اثنين، مهما علا شأنه أو هبط، إذا الاختلاف في منطقة الشخصيّة، والتي تحمل صلابة وقساوة تعبير الخطاط، ويتلاءم أحياناً الموضوع حسب مجاورة الحرف لغيره من الحروف، وهنا هذا الإحساس لا يعلّم بل يأتي إلهاماً من الله سبحانه وتعالى، فمنطقة المعرفة ليس فيها شرط الممارسة، وكأن الملائكة تقول للخطاط افعل كذا ولا تفعل كذا».**

### بين القلب والدماغ

**حفظ المعلومة في القلب يجعلها تعيش أكثر من مجالها في الكتاب، فالضمير يحملها وينقلها من جيلٍ لآخر، في حين الكتاب معرض لفقدانها، وتضييعها، كما هي على أصولها، فأين المهرب لدى الصياغة الخطيّة، وأين المنفذ من هذا؟ وعن هذه الفكرة كان جواب عدنان الشيخ: «من ميّزات فنّ الخط انفراده في القيمة التربويّة عن طريق القيمة الجماليّة التي تعدّ هذه الأخيرة مصيدة وعلماؤنا يتميزون كثيراً عن غيرهم، ولا مجال للمقارنة مع أي بلد عربي آخر، في حين لدينا المثقف العادي البسيط أقوى من الأديب الشاعر لديهم بكثير، فتوعمة الخط واللغة هي التي صنعت التفوق لدينا في سورية، ولا ننسى التاريخ العريق الموفور في سورية، فلدينا في جبل سابق «محمد الديراني» العملاق الكبير، والذي أعتبر أن الإعلام لم يسلّط الضوء عليه كما يجب، فهو لا يجارى بما أنتج وقدّم، أيضاً من الجيل نفسه «عبد الهادي زين العابدين» في حمص من أحد العمالقة في هذا ا لمجال، و«يوسف رسا» و«ممدوح الشريف» وكلّهم أعمدة أساسية، بعدهم جاء «أحمد المفتي» و«أحمد الباري»، و«عثمان طه»، و«محمد القاضي»، وهؤلاء يمكن تصنيفهم بالرعيل الثاني، وأيضاً «محمد غنوم»، وأسماء كثيرة يتكئ بعضهم على بعض، لولادة أجيال جديدة، ولدينا في جيل لاحق المسابقات التي بدأت منذ ٣٠ عاماً فقط، أي على دوري وأبناء جيلي من الخطاطين، وهنا نتثبت أكثر من تفوق الخطاط السوري على غيره لأنه الأول في الموهبة، والإبداع، والإنتاج، والكميّة، والنوعيّة، والجميع يعترف بذلك من خطاطي وفناني العالم».**

### ميدانا العلم والمعرفة

**لدى اطلاعنا على المفاهيم الفلسفية نجد أن العلم والمعرفة أمران مختلفان، فالعلم هو التجربة، أمّا المعرفة فهي اليقين، والشموليّة، وما قبل التجربة، وبعدها، فالمعرفة أوسع من العلم، فأين ضيفنا «عدنان الشيخ» من هذا الكلام؟ فيقول: «في فنّ الخط يجتمع العلم والمعرفة معاً، ويوطّد أحدهما للآخر ويمهد له، فهناك ضوابط علميّة وراسخة جداً توافق عليها إعلام الخط عبر مئات السنين، فهناك تراكم، وشخصياً أنا ضدّ نسب قاعدة ما في الخط لفلان من الناس، فكلّ الناس شركاء بالتراكم، فقد يكون فلان قد أضاف شعرة على من سبقه، فاللاحق يكون على الأغلب خيراً من سابقه لأنه يكون على دراية أكثر من السابق، ومطلعاً على موهبته أيضاً، وبالتراكم يتفوق عليه ولا يلغيه، فالقديم يبقى على وجوده، لكنه أكثر خيراً منه، وهذا أمر طبيعي، ففي رياضيات الخط للتربويّة، فعندما تسترعينا لوحة ما، فإن القيمة الجماليّة هي ما يجذب، ومن ثمّ يسعى الشخص لتحليل أجزائها ليستنتج منها قولاً ما أو حكمة ما، وبالتالي دخلت يقينه قيمة ومعلومة وهو ما يدخل العقل عن طريق القلب أرسخ مما يدخل العقل مباشرةً، فأهم رسالة للخط هي البعد التربوي، ومن ناحية أخرى إن كان الهدف من الخط هو «الجمال للجمال» فأيضاً هناك قيمة عظيمة للفن في الخط العربي، ففن الخط واسع جداً فيتسع لأن يكون في خدمة الجمال وحده وفي خدمة المجتمع أيضاً».**

### نصائح للأجيال

**ماذا نقول بعد خبرة ٤٥ عاماً في الخط العربي من حيث أخلاق المهنة حول فكرة النقد الذاتي وقبول نقد الآخر: «أقول لهواة الخط الجدد عدّة نصائح وأوّل ما أقوله الطائر يطير بجناحين، فإذا هيض أحدهما أخفق في الطيران، فالأوّل له علاقة بالثقة بالنفس المستمد من الثقة بالله الذي منحنا نعماً كثيرة، وصرف العمر هنا لاستنفاد المخزون، والثقة بالنفس لا تأتي عبر تقديس الأشخاص ولا عبر نسب الكمال لأحدهم، فالثقة يجب أن تكون كاملة، وهنا نستذكر قول المتنبي:**

**لا بقومي شرفت بل شرفوا بي**
**وبنفسي فخرت لا بجدودي**
**وبهم فخر كل من نطق الضاد**

**وعوذ الجاني وغوث الطريد**

**لكن إذا اتكل في الأمر على الكسل والنوم فالأمر صعب جداً، وهنا يأتي دور الجناح الثاني في العمل الدؤوب ومواصلة الليل في النهار لاكتساب المعلومة تلو الأخرى، فكلّ إشراقة شمس علينا أن نتعلم شيئاً جديداً معها ويقول أحدهم: إذا ما مرّ يومٌ لم أستفد فيه علماً أو أصطنع يداً في الخير فما مرّ من عمري. أمّا الجناح الثالث الذي يقود كلا الجناحين وهو إنكار الذات واتهامها الدائم بالتقصير. والنصيحة الأخرى، لا تتعجلوا قطف الثمر، فهذا مقتل حقيقي، فالسعي وراء الشهرة والنجوميّة لا تنفع، فكلّ شيء له وقته».**

### لغة لونيّة

**بين أن نكتب بالحبر واللون الواحد وبين أن نكتب بالألوان، ما الفرق لدى الخطاط «الشيخ»: «كان الخطاطون القدماء يكتبون بالحبر الأسود تحديداً وعلى نوع محدد من الورق، في حين اليوم هناك المزيد من التطور في نوع الحبر والورق والألوان، وأنا مع مواكبة التطور واليوم أحاول أن أضفي لغة تقريبية لكل لوحة أكتبها فإذا كانت الكلمة تحمل صيغة من الفرح والتفاؤل أمنح حروفها حجماً مختلفاً وفي شيء من الحركة، وبالعكس إن كانت الكلمة تحمل معنى الحزن أو التعب فأسعى لتصغير الكلمة وحروفها وتلوينها بما يناسب، وأحياناً اللون ليس للتصوير بل للغة الإدهاش وأحياناً ينحو باتجاه الإمتاع وخدمة الجمال فقط».**

### صرح الخط العربي

**ألا يستحق فن الخط العربي وجود كليّة خاصة به؟ ولدى سؤالنا عن هذا الموضوع كان بوحه: « أتمنى من المسؤول عن هذا الأمر أن يسعى بهذا الموضوع، فسورية منذ إقامة المسابقات في هذا الفنّ وعلى مستوى العالم هي الأولى كمّاً ونوعاً، أفلا يستحق ذلك أن يكون هناك كليّة أو صرح للخط العربي؟ والاهتمام بها بصورة مستقلة لا وضعها كمادّة ثانوية. ويحسدنا الآخرون على هذه المكانة في المسابقة الدوليّة، فالقوة في الإبداع والتفوق في هذا الميدان تحديداً كلّه ينسب لسورية، واليوم أنا أستاذ في الخط، ولدي معارف كوّنتها من خبرة الكثير من السنوات، وأتمنى أن أقدم ما وصلت إليه للآخرين».**

### شعرٌ في الوداع

**في ختام حوارنا ألقى الخطاط «عدنان الشيخ» أبياتاً من تأليفه علينا، تروي مكانة هذه المهنة في قلبه، ومكانة الشام فيها، وتفوّقها بين كلّ دول العالم، وقد انتقينا منها ما يلي:**

**ثلث الخطوط حدائق الأحداق**
**شهد يطيب لنخبة الأذواق**
**بدوي وهاشم والكبار جميعهم**
**ذرفوا البكاء لضاحك الأوراق**
**صاغوا عيوناً من بريق عيونهم**
**حوراً فأضحت مصرع العشاق**
**تلك المراتب لا تُنال تمنياً**
**فافتح لعزمك منفذ الإعتاق**
**في محفل الخط الكبير صدارة**
**للشام بين مدارس الآفاق**
**فرحي بذاك إذا يقاس فإنه**
**فرح المشوق بأوبة المشتاق**

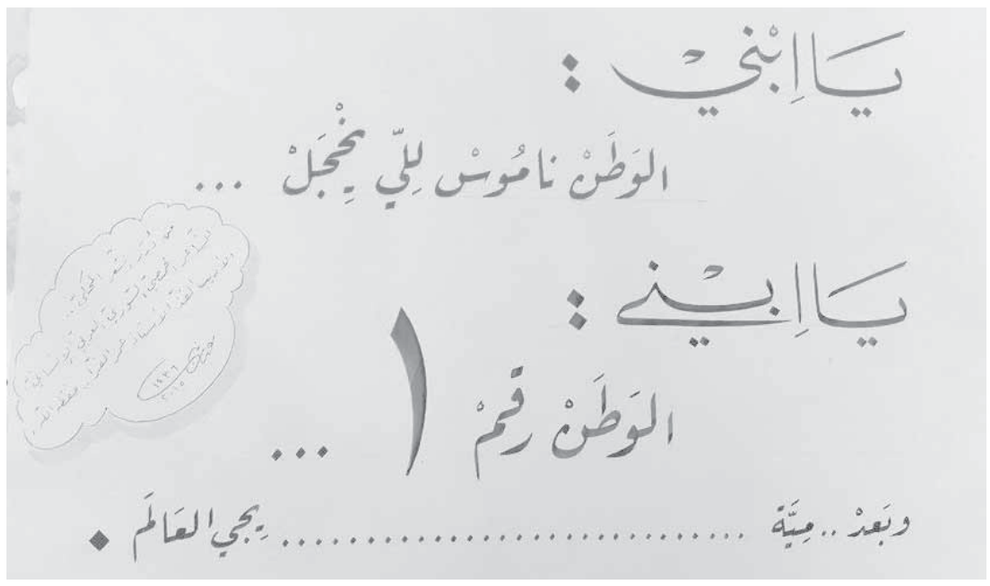


# خلايا نائمة أم كامنة؟

**غسان كامل ونوس**

ليس مصطلح «الخلايا النائمة» جديداً في مفهومه، وربّما في لفظه؛ لكن تداوله تضاعف في السنوات الأخيرة، وفي الظروف التي تسود في مناطق مختلفة من العالم، ولاسيما في المنطقة العربية مؤخّراً، ومنها الحرب العدوانيّة المتواصلة على سوريّة منذ أكثر من أربع سنوات.

ويشير المصطلح إلى «فرد أو عدد محدود من الأفراد، في مجموعات منفصلة، يسمّى كلّ منها خليّة، تزرع منعزلة، وبسريّة تامّة في المواقع المستهدَفة، لاستخدامها متزامنة أو متفرّقة في تنفيذ مهمّات محدّدة في أوقات لاحقة».

ومن الواضح أن هذه الخلايا تعمل لحساب جهة ما، وتنفّذ المطلوب منها، ومن ثم، لا يصحّ معها التوصيف «نائمة»؛ بل «منوّمة»؛ لأن حضورها خاملة أو نشطة مرهون بمن يتحكّم بها، ومن هنا يأتي التناقض الأول في التسمية! أمّا التناقضات الأخرى، فتظهر من خلال التمحيص في حقيقتها؛ فهل هي فعلاً في حالة نوم، بلا أي نشاط واعٍ أو إحساس مدرك، خلال مدة انتظار الأمر للقيام بالمهمّة؟ وهنا أيضاً لا يصحّ تعبير منوّمة؛ لأنّها قد تكون؛ بل يفترض أن تكون في حال قصوى من التنبّه واليقظة، لاستشعار ما يجري حولها في البيئة القريبة والمحيط المتباعد، والتقاط التفاصيل، واستيعاب المشاهد، حتّى لو لم تكن تعنيها مباشرة؛ لكنّها تتداخل بشكل أو آخر مع مفردات حياتها وحاجاتها إلى الطعام والشراب والتحرك والعمل.. ربما؛ مهما أبدت من التغافل أو الانبتات أو اللامبالاة؛ هذا إذا لم تكن من مقدّمات مهمّاتها أو متطلّباتها متابعة ذلك في نطاق معيّن؛ أي رصد أشخاص أو علاقات أو أحداث أو أحاديث متداولة، أو حتّى بثّ أفكار وتساؤلات ومقولات ومصطلحات وأخبار كاذبة، أو صحيحة لكنّها مؤذية، وافتعال أزمات اجتماعية واقتصادية أو تضخيمها، والتقاط ردود أفعال عمّا يجري، أو يثار بشكل طبيعي، أو عن طريقها؛ إضافة إلى محاولة تجميل صورتها، والظهور بمظهر المحسن المبادر إلى العون وتقديم الخدمات، وإبداء الحماسة في ذلك؛ لكسب ثقة المجتمع الذي يعيش أفرادها فيه، وخاصّة أن مهمّتها ليست راهنة أو فورية؛ فقد يتطلّب الاستعداد لها والقيام بها فترة طويلة.

وتقترب هذه الخلايا عندئذ أو بعدئذ من تسميات أخرى معروفة، وقد تتقاطع معها، أو تتلاقى: العملاء والجواسيس والوكلاء والطابور الخامس.

وقد يكون أفراد الخليّة من سكّان البلد المستهدَف نفسه، أو من بلدان أخرى، يتمّ إرسالهم إلى المنطقة المنظورة لأسباب يفترض أن تبدو وجيهة، أو مسوغة، حتى لا يبدو وجودهم غريباً أو مثاراً للتساؤل ومدعاة للريبة؛ وليست مسألة استخدام أشخاص مرتزقة جديدة؛ بل يعدّ الارتزاق ثاني أقدم مهنة في التاريخ بعد البغاء.

ويتمّ تدريب أفراد الخليّة عادة خارج أماكن عملها، وتختلف هذه التدريبات حسب مهمّتها؛ فقد تكون الغاية الاستطلاع، وجمع المعلومات، وإرسالها، وبثّ الدعايات المغرضة، أو نقل الأسلحة والمتفجرات، والقيام بعمليات اختطاف أو اغتيال أو قتل أو ترويع، مع ما يتطلّبه كلّ ذلك من مهارة في التمويه والتضليل واستخدام وسائل الاتصال، وأدوات التفخيخ والتفجير، والأسلحة الفردية المعروفة أو الخاصة، والتحرك قبل المهمّة وبعدها.

و«الخليّة هي أصغر وحدة بنائيّة ذات وظيفة في الكائن الحي، نباتيّة كانت أم حيوانيّة، وتتألّف من أجسام صغيرة تدعى عضيات، ونواة تحمل الشيفرة الوراثيّة، وحولها غشاء خلوي أو غلاف سيللوزي، وعمل الخليّة دقيق جداً من خلال إفرازات وأنزيمات وهرمونات وسواها، ويختلف نشاط الخليّة حسب وظيفتها، والمرحلة العمريّة، وموقعها في الجسم، والظرف الذي يعيشه الكائن الحيّ؛ فقد تكون نشطة، ثم تميل إلى الخمول، فالموت، أو العودة إلى النشاط. وهناك خلايا تتظاهر بالموات، حين تعرّضها لمؤثّر ما، لتفادي الضرر، ولمواجهة الخطر؛ فتستطيع الصمود، والبقاء على قيد الحياة، ثم تتأقلم مع الوضع القائم، وتعود إليها الحيويّة والفعاليّة.

وقد اكتشف أمر هذه الخلايا التي تسمّى أيضاً «الخلايا الصامدة أو الكامنة أو الخاملة» للمرّة الأولى في العام ١٩٤٤م، حين أصبح استخدام البنسلين في العلاج على نطاق واسع». وهناك أمراض عديدة، باتت معروفة بأنها تبقى في فترة كمون، تصل إلى سنوات لدى المصابين بها قبل ظهورها وتفاقمها؛ مثل السرطان، ونقص المناعة المكتسب الإيدز، والسلّ وسواها.

ومن هنا نرى أن إطلاق تسمية الخلايا على المجموعات التي تُزرع خلف خطوط العدو، أو بين ظهرانيه، تسمية معبّرة؛ لكن من الخطل، وربّما الخطأ المقصود إيهاماً نفسياً، وتخفيفاً من أثرها حتّى في اللاشعور، أن نقول إنها خلايا نائمة؛ فالأفضل تعبيراً عن الواقع، وألذق توصيفاً للحالة والغاية، والأكثر مدعاة للحذر والتنبّه إلى وجودها وأهدافها، أن نقول: إنها «خلايا كامنة».